

القبض على «الشاذلي» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلي في غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير في مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلي» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلي» إلى مصر، إذ كان «الشاذلي» قد أصابه مثل الغربية فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣ سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلي» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة، ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلي» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال يبنى بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلي» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولما طال انتظار أسرة «الشاذلي» لخروجه مع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسرته الاستعلام عن سر تأخره من مسئولين بالمطار فلم يجيبهم أحد، فأدركت أسرته أن شيئاً ما قد حدث له، فعادوا إلى منزلهم يبحثون في الإذاعات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشاذلي» إلى مصر حتى عرفوا من إذاعة (مونت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السيدة زينات السحيمي بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابها عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها؟ وبعد ساعات جاءها الرد وعرفت أن زوجها الفريق «سعد الشاذلي» قيد التحفظ في المجموعة ٧٥ مخابرات بعد مصادرة حقايبه بما فيها ملابسه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبه وصوره وأوراقه الخاصة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويات مكتبته الخاصة التي جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملقه في رئاسة الجمهورية حتى يصعب الاطلاع عليه، وتحولت ذكرياته واجتهاداته وثقافته ومؤلفاته وكل شيء يخصه في لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سنة من حياته قضاها بعيداً عن وطنه في لندن والبرتغال والجزائر تمت مصادرة أوراقها في لحظة، وكتبت جريدة الشعب بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشاذلي ومن

بينها سيارته المرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع
٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلي» ولا المسئول الذي وعده بالأمان عند عودته
لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سيحرك القضية من جديد لما وجد
في رجوعه فرصة مناسبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلي»
فكان القبض على «الشاذلي» وسجنه دون محاكمة بأمر من الرئيس
مبارك مفاجأة للجميع وللغريب «الشاذلي» نفسه الذي لم يكن بينه وبين
مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلى الفور تحرك محامو «الشاذلي» وتحركت معهم المنظمات
الدولية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والرأي العام في مصر،
أسرع الجميع بالدفاع عن «الشاذلي» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس
بإعادة النظر في الحكم فالأمل كبير في براءة «الشاذلي» إذا ما تمت
محاكمته محاكمة عسكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس،
وكذا رفض مساعي محاميه ومساعي كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن «الشاذلي».

وانقسمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلي ومنهم من يبرئه،
ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبرالرجين) بقلم محمد أبوالفتح،
وكتب يوسف سعد (الشاذلي المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله يا شاذلى) ، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م) ، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأعالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأعلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوئه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م ، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأعلام ، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقتة ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعودة لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجيناً فى

وطن بطولاته، وحرمة التكريم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضى «الشاذلى» ثلاث سنوات قادمة من حياته داخل مستشفى السجن الحربى فى وطنه مصر! ليصبح بذلك أول رئيس أركان فى الجيش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى السجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشاذلى» بذلك حالة خاصة فى عقوبته كما كان حالة خاصة فى انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلى» وقتها فى لغز القبض عليه أن خلافه مع السادات كانت له مبررات، أما موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشاذلى»، فلم يحدث أى صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى سجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلى» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استسلم «الشاذلى» لقدرة للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

فى سجنه: الشاذلى مريضا برغم أنه

فور دخول «الشاذلى» إلى السجن فى المستشفى الحربى ندد د. محمد حلمى مراد فى مقاله (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك) بالإجراء الذى اتخذته السلطات عند دخول «الشاذلى» المستشفى الحربى ليقضى بها مدة حبسه (ثلاث سنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنه

وكان الإجراء هو إخلاء مبنى المستشفى الحربى | ذلك المبنى المكون من دورين يتسعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنوع من الترويع له، ومع افتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضرر «بالشاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أسرته، وحذر د. محمد حلمى فى مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشرف راشد قد تولى وقتها رئاسة إدارة مستشفى السجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشاذلى» من قبل أثناء حرب الاستنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشير حسين طنطاوى تكريما وتمييزا للشاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشاذلي» هذه الفترة الحرجة من حياته مسجوناً؟

واسترسل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلي» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشاذلي» رجلاً قويا وعسكريا ملتزما، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل السجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلي زنزانه سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصيا قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلي» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة سجنه، فلم يكن الفريق «الشاذلي» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة استضافة محددة، وبأمر من المشير طنطاوى تم تجهيز حجراته بأثاث خشبى كامل ومميز وكان بحجراته حمام خاص ومكتب وتلاجة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى سجنه خصصنا حجرة لاستقبال ضيوفه لكثرتهم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائد صنعوا تحت قيادته النصر لمصر، وكان من بين زواره حسين الشافعى وعبدالقادر حاتم وأحمد حمروش، وكان بحجراته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلي» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كمعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينات الرياضية اليومية في حجرة الرياضة المواجهة لحجرته والتي تم تجهيزها خصيصا له حسب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للمعجلة الرياضية لحساب الفاقد من وزنه بدقة، وكان يلتزم بنظامه الغذائي الصحي ويحرص على تناول وجبات خفيفة وصحية ومياه معدنية، وبعد الإفطار يطالع الجرائد اليومية ليتعرف من خلالها عما يدور من أحداث في مصر، وكانت مطالعته للجرائد غاية في الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التي كانت تكشف له عن الحالة الاقتصادية في مصر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على استخدام الورقة والقلم ليستخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويسجلها في أوراقه ليتمكن الرجوع إليها والاستدلال بها في كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واستفاد «الشاذلي» من مدة حبسه ليحقق رقما قياسيا في ختم المصحف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها في محبسه، وحرص «الشاذلي» على حفظ القرآن خاصة السور الطويلة منه، فكان يقرؤه

للعبادة والتدبر والتفكير والدراسة ، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلي» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه حاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسية، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسعى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلي» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلي» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلي» كان يحب العدل فى كل شىء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلي» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيما لعلاج «الشاذلي» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلي» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلي» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلي» في زهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أي سجين عادى.

ولازلنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فى ليلة من الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرفت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربما لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى الرأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١ م .

وأمام اعتزاز «الشاذلي» بنفسه وبقينه من أنه على الحق رفض وبإصرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشاذلي» رفضاً شديداً أن يُذَل نفسه ويتنازل عن كبريائه ويطلب العفو من ظالمه وهو برىء، فيكفى «الشاذلي» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشاذلي» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشاذلي» وانتصاره العسكري العظيم في حرب أكتوبر والتي كشفت عن رغبة مبارك في إزاحة «الشاذلي» عن أضواء النصر . ويعود اللواء أشرف راشد ليحدثنا هذه المرة عن يوم الإفراج عن «الشاذلي» فيقول :

جاء قرار العفو عن الفريق «الشاذلي» في ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعياد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على سجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل سجين إلا «الشاذلي» لم تفرحه فرحة الإفراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفوواً خاصاً للفريق «الشاذلي» بل كان عفوواً عاماً مع باقي المساجين لحسن السلوك وقضاء نصف المدّة، فلم يداو ذلك العفو جرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذي أراده «الشاذلي». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف) فهل كان يليق بقائد عسكري في قمة الفريق «الشاذلي» بعد ما لاقاه من ظلم وانتقام أن يأتيه العفو عاماً مع باقي المساجين؟ هل يستوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيراً خرج النسر من محبسه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيها الحرية فى وطنه، ولم يثنه الإفراج عن تراجعته عن موقفه من السلطة حتى إنه أجرى فى يوم خروجه حواراً مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشاذلى» هو إصراره الشديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشاذلى» فى الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلى» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكرى المشرف فى خلافه مع الرئيس السادات، فلم يخسر «الشاذلى» شيئاً بسجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسرت مصر رجلاً من خيرة رجالها وعبقريه عسكرية نادرة كان يمكن أن يضيف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلى» متاعبه هذه المرة ليبدأ حياته الجديدة؟

